المتعاظم الصغير أيضا

أحب من أعرف من القراء هذا المتعاظم الصغير وما منهم إلا من يراه فيما قرأ عذب الروح خفيف الظل ، يرق كثافة ويلطف روحاً ، حتى لتكاد ألا تراه إذا وقعت عليه العيون

جلست ذات يوم مع كبير من أصحاب الدواوين ، جئته زائراً فحسب ، فراح — ولعله ظن أنى جئته لأمر — يشكو إلىّ من كثرة من يجيئونه من طالبي الوظائف لأقاربهم والمحسوبين عليهم من الناس ، وقال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة : والعجب أنه كثيراً ما يطلب إلىّ ذلك من لا أكاد أعرف أشخاصهم ، فمن هؤلاء من يرى أن مجرد رؤيته إياى مرة فى أية مناسبة ، كفيل بأن يجعل له حق الوساطة لدى !

وما كاد يتم صاحب الديوان عبارته ، حتى ناوله حاجبه بطاقة فنظر فيها نظرة المتسائل وقطب ، ثم ابتسم مثل ابتسامته السالفة وقال لحاجبه فى شىء من الضجر : أدخله . . .

وفتح الباب ، ونظرت ، فإذا المتعاظم الصغير يقبل متهللاً فيسلم على صاحب الديوان سلام الصديق على صديقه ، وبعد أن سأله كيف حاله وكيف حال أنجاله ، وأعاد ذلك مرة ومرة ، دنا منه وكلمه كلاماً لم أسمعه ، وإنما رأيت فى معارف وجهه التوسل والاستعطاف الشديدين ؛ وأنصت صاحب الديوان وعلى وجهه أمارات من يكظم غيظه ومن يعانى من ذلك ضيقاً شديداً ، ثم نفس عن نفسه بقوله : « يا سيدى الأستاذ هذا ضد القانون » ولكن الأستاذ راح يتوسل من جديد فى ابتسامات قردية السمت ، وحركات من لىّ العنق وإدارة الوجه : مرة إلى اليمين ومرة إلى الشمال ، أشبه بما يفعل معك أحد الشحاذين إذا ابتليت به فقطع عليك طريقك

وما فرغ الأستاذ من مسكنته هذه إلا بعد أن راح صاحب الديوان يكرر — وكأنه يصرخ — قوله : « آسف ياسيدى ... يا سيدى قلت لك آسف ... لا تؤاخذنى ... آسف ... آسف »

وبلغ المتعاظم الصغير منتهى عذوبة روحه وخفة ظله ، فراح يلقى فى روع صاحب الديوان أنه يعرف فلاناً وفلاناً ، وأنه له عند « سعادة الوكيل » مكانة خاصة ، وأن من أصدقائه كيت وكيت من العظماء والكبراء ، وأنه ما جاء يرجو « سعادة البك » إلا لما عرف من كرمه وبره ، ثم سأله ليغطى خجله أو ليحفظ على نفسه تعاظمها وقد يئس من التوسل ، أيجيب طلبه إذا ظفر بموافقة سعادة الوكيل عليه ؟

وإذ ذاك نهض صاحب الديوان فمد إليه يده يسلم عليه أو يصرفه على الأصح وهو يقول مبتسماً : « يا أخى إن من يعرف هؤلاء لا حاجة به إلى أمثالنا » ... ولم يجد المتعاظم بداً من الخروج ؛ ونظرت إليه وهو يهز اليد التى امتدت متراخية إليه هزاً قوياً حماسياً ، فلم أر فى وجهه شيئاً من خجل أو اضطراب ! ...

ونظر إلى صاحب الديوان وهو يتنفس الصعداء الطويلة قائلاً وقد رأى فى وجهى الاستفهام : « تالله يا أخى ما أذكر أنى رأيته من قبل ولم أعرف اسمه ولا وظيفته إلا من بطاقته » !

وانصرفت من لدن صاحب الديوان فمررت بذلك المتعاظم وقد وقف فى ردهة من ردهات الديوان يحيط به بعض الريفيين وسمعته يقول لأحدهم : « خلاص يا مصطفى مسألتك انتهت وستعين قريباً ... أما أنت يا حسن فأنا ذاهب إلى سعادة الوكيل من أجلك الآن ... وأنت يا علىّ فكرنى بكره ... فين عبد السميع ؟ موضوعك ينتهى قريباً إن شاء الله ، اطمئن ... »

ومضى المتعاظم الصغير مرفوع الرأس شامخ الأنف يسراه فى جيب سرواله ويمناه يلوح بها مسلما على من يعرف ومن لا يعرف ممن يمر بهم من صغار أصحاب الدواوين وكثيراً ما كان يكتفى بإيماءة من رأسه العالى أو ابتسامة من ابتساماته المنبئة وإن لم يفطن إليه بعض من كان يجود عليهم بهذه التحيات أو كان يحسبها بعضهم موجهة إلى غيرهم لأنهم يجهلون صاحبها ، وفى نفسه أنه علم يشار إليه أينما سار ؛ وكان كما زعم متجهاً لقاء سعادة الوكيل وإن كنت لأعلم حق العلم أنه لا يعرف من سعادة الوكيل إلا اسمه وموضع حجرته من حجرات الديوان

الخفيف